

{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } * { اللَّهُ الصَّمَدُ } * { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } * { وَلَمْ يَكُن لَّهُ
كُفُوًا أَحَدٌ } (1-4)

قوله عز وجل: { قل هو الله أحد } عن أبي بن كعب " أن المشركين قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك، فأنزل الله { قل هو الله أحد الله الصمد
{ والصمد الذي لم يلد، ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء
يموت إلا سيورث، وإن الله لا يموت ولا يورث، ولم يكن له كفواً أحد. قال لم يكن
له شبيه، ولا عديل، وليس كمثل شيء " أخرجه الترمذي وقال: وقد روي عن أبي
العالية أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم، فقالوا انسب لنا ربك، فأتاه جبريل
بهذه السورة { قل هو الله أحد } وذكر نحوه، ولم يذكر فيه عن أبي بن كعب، وهذا
أصح وقال ابن عباس " أن عامر بن الطفيل، وأربد بن ربيعة أتيا النبي صلى الله
عليه وسلم فقال عامر: إلام تدعوننا يا محمد قال إلى الله قال صفه لنا أمن ذهب
هو أم من فضة، أم من حديد، أم من خشب، فنزلت هذه السورة، وأهلك الله
أربد بالصاعقة و عامر بالطاعون " ، وقد تقدم ذكرهما في سورة الرعد، وقيل جاء ناس
من أحبار اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك،
فإن الله تعالى أنزل نعتة في التوراة، فأخبرنا من أي شيء هو، وهل يأكل ويشرب، وممن
ورث الربوبية، ولمن يورثها، فأنزل الله هذه السورة { قل هو الله أحد } يعني الذي
سألتموني عنه هو الله الواحد في الألوهية، والربوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة
المنفرد عن الشبه، والمثل والنظير، وقيل لا يوصف أحد بالأحادية غير الله تعالى فلا

يقال رجل أحد، ودرهم أحد بل أحد صفة من صفات الله تعالى. استأثر بها فلا يشركه فيها أحد، والفرق بين الواحد، والأحد أن الواحد يدخل في الأحد، ولا ينعكس، وقيل إن الواحد يستعمل في الإثبات والأحد في النفي تقول في الإثبات رأيت رجلاً واحداً، وفي النفي ما رأيت أحداً، فتفيد العموم، وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه أحد، والأحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه أحد { الله الصمد } قال ابن عباس: الصمد الذي لا جوف له وبه قال جماعة من المفسرين، ووجه ذلك من حيث اللّغة أن الصّمد الشيء المصمد الصّلب الذي ليس فيه رطوبة، ولا رخوة، ومنه يقال لسداد القارورة الصماد. فإن فسر الصمد بهذا كان من صفات الأجسام، ويتعالى الله جلّ وعزّ عن صفات الجسمية، وقيل وجه هذا القول إن الصمد الذي ليس بأجوف، معناه هو الذي لا يأكل، ولا يشرب، وهو الغني عن كل شيء، فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال، والقصد بقوله الله الصّمد التّنبية على أنه تعالى بخلاف من أثبتوا له الإلهية، وإليه الإشارة بقوله تعالى:

{ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام }

[المائدة: 75] وقيل الصّمد الذي ليس بأجوف شيئان أحدهما دون الإنسان، وهو سائر الجمادات الصّلبة والثاني أشرف من الإنسان وأعلى منه وهو الباري جل وعز وقال أبي بن كعب الصمد الذي لم يلد، ولم يولد لأن من يولد سيموت، ومن يموت يورث منه. وروى البخاري في أفراده عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: الصّمد هو السيّد الذي انتهى سؤدده، وهي رواية عن ابن عباس، أيضاً قال هو السيّد الذي كمل فيه جميع أوصاف السؤدد، وقيل هو السيّد المقصود في جميع الحوائج المرغوب

إليه في الرغائب المستعان به عند المصائب، وتفريج الكرب وقيل هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وتلك دالة على أنه المتناهي في السوود والشرف، والعلو والعظمة، والكمال والكرم والإحسان، وقيل الصمد الدائم الباقي بعد فناء خلقه، وقيل الصمد الذي ليس فوقه أحد، وهو قول علي، وقيل هو الذي لا تعتريه الآفات ولا غيره الأوقات وقيل هو الذي لا عيب فيه وقيل الصمد هو الأول الذي ليس له زوال والآخر الذي ليس لملكه انتقال. والأولى أن يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل فيه لأنه محتمل له، فعلى هذا يقتضي أن لا يكون في الوجود صمد سوى الله تعالى العظيم القادر على كل شيء وأنه اسم خاص بالله تعالى انفرد به له الأسماء الحسنى والصفات العليا

{ ليس كمثل شيء وهو السميع البصير }

[الشورى: 11]. قوله عز وجل: { لم يلد ولم يولد } وذلك أن مشوكي العرب قالوا للملائكة بنات الله، وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله فكذبهم الله عز وجل، ونفى عن نفسه ما قالوا بقوله { لم يلد } يعني كما ولد عيسى، وعزير، { ولم يولد } معناه أن من ولد كان له والد فنفى عنه إحاطة النسب من جميع الجهات، فهو الأول الذي لم يتقدمه، والد كان عنه وهو الآخر الذي لم يتأخر عنه ولد يكون عنه، ومن كان كذلك فهو الذي لم يكن له كفواً أحد، أي ليس له من خلقه مثل، ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه. بقوله { ولم يكن له كفواً أحد } العديل والنظير، والصاحبة والولد (خ) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " قال الله عز وجل: كذبي ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقله لن يعيدني كما بداني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما

شتمه إياي فقله اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد " والله سبحانه وتعالى أعلم.